نفحات قرآن

بقلم بخاري أحمد عبده

بسم الله الرحمن الرحيم

« .... اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون ، اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتى ، ورضيت لكم الاسلام دينا ... » * المائدة

فى ركاب الآية الكريمة علونا مشارف ، وجسنا أودية ، وذهبنا مذاهب فيحاء واكبنا فيها مشهد الحجيج فى عرضة الحج . تحفهم كات السماء ان تدفقوا أعزة طيبين ، وتحيط بهم زوابع المقت اللعنات ان حشروا عجافا (١) مريشين أذلة .

والعزة نفح الطيب (بكسر الطاء المشددة) والمرء اذا طاب وجدانه ، ولسانه ، وأردانه هدى الى مزيد من طيب وأثمر العزة الأبية ، وآتى — كالشجرة الطيبة — أكله نماء وبركة وعلوا وازدهارا.

والذلة رجع الخبث . والقلب اذا أشرب الهوى ، واستعذب القفلة خبث ، فالتاث وجيف (بتشديد الياء) ونفث من نتنه على النفقة والزاد والراحلة ، ودخل صاحبه عرضة الحج عليل النفس ، واهى الايمان منقادا للشيطان ملعونا أينما ثقف .

---

* استكمال للموضوع الذى حتمته المناسبة ، ولنا ان شاء الله عودة الى : « تبت يدا أبى لهب . »

(١) نتف ريشهم

ولعل هذا هو ايحاء ما رواه الطبرانى عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : اذا خرج الرجل حاجا بنفقة طيبة ووضع رجله فى الغرز فنادى : لبيك اللهم لبيك ناداه مناد من السماء: لبيك وسعديك • زادك حلال ، وراحلتك حلال ، وحجك مبرور غير مأزور • واذا خرج الرجل بالنفقة الخبيثة فوضع رجله فى الغرز فنادى : لبيك اللهم لبيك ، ناداه منـــاد من الســـماء لا لبيك ، ولا سعديك • زادك حرام ، ونفقتك حرام ، وحجك غير مبرور • وأخبث الخبث أن تفد على ربك ملطخا زائف المقدم نجس الظاهر والباطن أسير الأهواء ، والأعداء تعانى من (أنيميا) الفكر ، وانحراف العقيدة، وعفن اليد (١) • أن تفـــد على ربك هشيما تذروك الرياح ، وترعاك الهوام ، وتحطمك الأخفاف والحوافر والأقدام •• بعد أن بوأك الله القمة ، وأغدق عليك النعمة • والمسلمون طى هذه العلل الفادحة لا يمكن أن يحقق أحدهم حجا مبرورا أو مقبولا •

وتحت وطأة هـــذه العلل وما يتولد عنها من اعياء ، ودوار ، وغيبوبة انتكس المسلمون من بعد عافية ، وهمدوا من بعـــد حيوية ، وبدءوا رحلة القهقرى وأسلموا الاسلام الى غربة أنكى وأعتى من الغربة الأولى ، لأنها الغربة التى تأتى بعـــد مرحلة بلوغ الأشـــد « ••• ثم لتبلغوا أشدكم ، ومنكم من يتوفى ، ومنكم من يرد الى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا ••• » الحج (٥) • وحتى لا نتمزق نتداركنا هذه الآية بما يحيى الأمل المعقود بالله فهو وحده يخلق السنن وهو وحده يخرقها • وهو الذى يحيى الموتى • نتداركنا الآية بقوله سبحانه بعد ذلك مباشرة « وترى الأرض هامدة ، فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت ، وربت ، وأنبتت من كل زوج بهيج • ذلك

---

(١) كناية عن الكسب الخبيث .

بأن الله هو الحق ، وأنه يحيى الموتى ، وأنه على كل شىء قدير • وأن الساعة آتية لا ريب فيها ، وأن الله يبعث من فى القبور » الحج ٥ ، ٦ ، ٧

وقفة مباشرة مع آية الكمال

اليوم يئس •••••• اليوم أكملت

وقرار الكمال — كما نرى — يستفتح بكلمة « اليوم » التى تفيد الظرفية • ولكنها ظرفية غير محدودة بآناء ليل أو أطراف نهار • ولكنها ظرفية حرة تتكيف بما يملأها من قيم وتصدق على كل زمان استوفى المسلمون فيه أسباب الكمال من وفاء بالعهود والتزام بالعقود ، واحترام للمواثيق ، وشكر على النعم مع استقلال عزيز وهيمنة وسيادة وقيادة •

كل زمان أظل وهو يحفل بالمعانى العليا فهو للمسلمين • وهو اليوم المنشود •

وأى زمان خوى من تلك المعانى فهو على المسلمين • وهو اليوم المشئوم •

فكلمة « اليوم » ليست ظرفا يطبق بمعالمه وحدوده المحصورة على قضية الكمال ويمنع تحقق أى كمال قبل ، أو بعد حسبما يزعم المستشرقون من أن الكمال دام يوما واحدا ثم غابت شمسه • ولكنه ظرف أريد به الزمان الحاضر وما يتصل به ، وما يدانيه من الأزمنة الماضية والآتية ، ويوم عرفة الذى بث (بالبناء للمجهول) فيه القرار كان يوم التصديق والاعلان •

أما قبلية هذا الكمال فأمر تحتمه سنن الله فى النمو والتدرج والارتقاء اذ لا كمال من فراغ • وأما بعدية ذلك الكمال فأمر تحكمه السنن ، وتكفله الأسباب • ان روعيت دام الكمال واتصل ، وان أهدرت زال وانفصل •

وعلى ضوء المقدمة التى سبقت قرار الكمال يمكن أن نقول : —

١ — ان الانحلال والانحدار ، والتآكل وليدة الغدر والنقض والعدوان وعدم الالتزام • وانها تورث فيما تورث الغفلة المكثفة ، والتخبط المودى • وتستنزل اللعنات وصدق الله العظيم • « فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم ، وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ، ونسوا حظا مما ذكروا به ، ولا تزال تطلع على خائنة منهم ، الا قليلا منهم ، فاعف عنهم واصفح ان الله يحب المحسنين• ومن الذين قالوا انا نصارى أخذنا ميثاقهم ، فنسوا حظا مما ذكروا به فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة ، وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون » المائدة ١٢ ، ١٣

٢ — وان سنة الله فى الأولين هى سنته فى الآخرين • من التزم نما واكتمل ، ومن نكث نكث على نفسه واحترق •

وكلمة «اليوم يئس» تذكر بكل المحاولات التى مورست لايقاف مد الاسلام ، واطفاء نوره ، واذهاب روائه • وتستحضر أمام القارىء كل معاناة المسلمين • من كبت ، وصد وفتن ، وتعجيز ، وتهريج ، وحصار ، وتجويع ، ومقاطعات ، واخراج ، وتعذيب ، وقتل وتشريد•• الخ ثم توحى بآيات آسية تهدىء من حرقة قلب المسلم المحموم من جوى الحاضر المر ، وبرح الواقع الداكن الكريه • توحى :

١ — بآية تذكر المؤمن بالركن الشديد الذى ينبغى أن يلوذ به — بالله الذى يبطل كل سحر ، ويسحق كل مكر « واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك ، أو يخرجوك ، ويمكرون ويمكر الله ، والله خير الماكرين » الأنفال ٣٠

٢ — وبأخرى تريك أرض الظالمين مخسوفة ، وقواعدهم منسوفة « قد مكر الذين من قبلهم ، فأتى الله بنيانهم من القواعد ، وخر عليهم السقف من فوقهم وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون » النحل ٢٦

٣ ــ وبآية تدرع بالصبر والاحســان والتقوى ، وتحــذر من الانفعالات المعوقة (بتشديد الواو) « واصبر وما صبرك الا بالله • ولا تحزن عليهم ، ولاتك فى ضيق مما يمكرون ، ان الله مــع الذين اتقوا ، والذين هم محسنون » النحل ١٢٧

٤ ــ وبرابعة تعرض كيد تسعة من مراكز القوى تآمروا على الحق ، وأجمعوا أمرهم ، ودبروا بليل فكانوا وبالا على أنفسهم ، وعلى قومهم « وكان فى المدينة تسعة رهط يفســدون فى الأرض ولا يصلحون • قالوا تقاسموا بالله لنبيتنه وأهله ، ثم لنقولن لوليه ماشهدنا مهلك أهله ، وانا لصادقون • ومكروا مكرا ، ومكرنا مكرا ، وهم لا يشعرون ، فانظر كيف كان عاقبة مكرهم أنا دمرناهم ، وقومهم أجمعين• فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا ، ان فى ذلك لآية لقوم يعلمون • وأنجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون » النمل ٤٨ ــ ٥٣

وبغير ذلك ، وبغير ذلك من الآيات التى تثبت على الحق ، وتغرى بالدأب ، وتعد بالدعم ، وتنذر الطغاة بالويل والثبور •

فعبارة « اليوم يئس » تقرر أن قوى الشر أعيتها صلابة الدين فاستسلموا لليأس ، وهالتهم كثافة المؤمنين فأيقنوا بالدمار الوشيك ، وراعتهم قوى المسلمين المعنوية والمادية فرأوا حتمية المداهنة ، والحركات الدودية • وأحسوا بأهمية المكر والختل والغدر • ومثلهم مثل الشيطان يئس أن يعبده المصلون فى جزيرة العرب ، فلجأ الى التحريش والوقيعة مصداق ماروى مسلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم • يئسوا فلا حاجة بالمسلمين الى مداهنة هؤلاء الكفار • كيف وقد صاروا بحيث لا يطمع فيهم أحد ؟ بل الواجب على المسلمين وقــد بدلهم الله بضعفهم قوة ، وبخوفهم أمنا ، وبقلقهم استقرارا أن يبادروا الى شكر رب هذه النعم بالمحافظة على أسبابها ، وتنميتها ، واحكام حصونها حتى تظل منيعة ، وحتى يزداد الأعداء يأسا على يأس •

أن العبارة « اليوم يئس » تعلن انكسار شوكة المناوئين • الا أن احتمالات استشراء الحركات الدودية بكل ما آتاها الشيطان من قدرات• تلك الاحتمالات قائمة قوية • ومن شكر النعمة أن تفطن وتعمل لتلك الحركات ألف حساب • لأنها تستهدف اراقة القوى ، واستنزاف الطاقات وتدمير قلاع الدين ، واهلاك المسلم بالمسلم •

ويأس الأعداء من اصابة كبد الاسلام مستمر الى يوم القيامة • وكل آمالهم محصورة فى ايهاء المسلم وتغريبه ، وايجاد انفصام بين المسلم وعقيدته ، وفى تخييل معان دخيلة وبهرجتها حتى يخالها الغر من الدين ، وفى تعبيد سبل شيطانية تتلقف الحائرين فتفرق بهم عن سبيله، أو فى تشويه الساحة بالبدع والخرافات ، أو فى عقد المقارنات بين واقع المسلمين ودينهم حتى نشك فنكفر ، أو فى سد السبل المفضية الى الدين حتى نضل ونخزى ، أو فى الاغراء بالتطرف والتنطع والغلو حتى نهلك أو فى التغرير بالمذاهب والملاعب ، والمبادىء والمعسكرات حتى نتدابر• وكل هذه أساليب انطلت على المسلمين وأدت الى أن يتآكلوا من الداخل تماما • فلا عجب اذا لم ترتفع من خلالهم الا الصيحات الجوفاء ، والحركات الرعناء • والالتفاتات التى تشرق بالذل والجبن والحرص الشديد على نير العبودية لغير الله الذى قال « ••••• فلا تخشوهم واخشون ••••• »

افراد المولى بالخشية قمة الايمان وكمال التوحيد

قد يئس الذين كفروا من هذا الدين بكل ما تعطى كلمة اليأس من أبعاد ، وتحمل من معانى • ومقتضى هذا تقلص الشر ، وتوفر الأمن ، وتضاؤل الاعداء ، وانفتاح الطريق أمام المسلم كى يوحد الله توحيد الرجاء ، والخوف بعد أن حيل بين الكافرين وبين ما يشتهون • فلا مطمح لهم فى أن ينالوا من الدين ، ولا أمل فى أن ينحرفوا بأهله عن الجادة الى جواد (بتشديد الدال) (١) أخرى قفرة قاصية • الى

حيث ينفردون بهم ، ويفترسون • اللهم الا أن ينحرف أهله ويرضوا بالدنية ، ويعطوا بأيديهم • الا أن ينفصم أهلـــه عن حقائق الدين ، وينبذوا تكاليفه ، ويضيقوا بمقتضياته ، ويمسوا سقطا غير متكامل الخلق ، أو مسخا من فرط ما مثلوا (بتشديد الثاء) بأنفسهم فمثل (بالبناء للمجهول) بهـــم ، زنماء (٢) أدعياء مستلحقين بالاســـلام والاسلام ينكرهم ويهتف سحقا سحقا لمن بدل وغير •

وتوحيد الرجاء والخوف قمة التوحيد • والمؤمن من فوق هذه القمة الشماء ينظر فيرى كل القيم النابية عن شرع الله ، وكل الأسماء التى تكرع من مرابض الشيطان ، وكل الاجساد التى تسمن وتنتشر ولكن كما ينتشر الدخان • يرى كل هذه هباء بلا وزن ، ولا حجم • ويرى الدنيا بكل بهرجها باهتة ضيقة تذرع فى لحظات يراها أهون من أن تستبد بقلب مؤمن • يصخب الباطل من حوله ، ويغوص الماديون فى الاوحال • وهو من دروته يبصر الأعماق الآسنة الداكنة التى تحتضن جذور المادية فتصبغها بنضارة كاذبة تتراءى ـــ للذين يريدون الحياة الدنيا ـــ خضراء• وهى فى الحقيقة كخضراء الدمن (٣) •

والمؤمن فى عليائه ومن واقع امتلائه واعتداده بمنهجه وقيمـــه يستقبل نفحات القرآن ويرتل مثل قول الله على لسان سحرة فرعون وقد علوا فوق التهديد واستهانوا بكل وعيد •وحققوا ـــ ضمن ماحققوا ـــ توحيد الخوف والرجاء « قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذى فطرنا ، فاقض ما أنت قاض ، انما تقضى هذه الحياة الدنيا • انا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا ، وما أكرهتنا عليه من السحر ، والله خير وأبقى • انه من يأت ربه مجرما فان له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى ومن يأته مؤمنا قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلا) طه ٧٢ ـــ ٧٥

---

(١) الجواد الطرق
(٢) الزنماء جمع زنيم والزنيم المستلحق فى قوم وليس منهم .
(٣) النبتة الخضراء تنبت فى مزبلة .

وأولئك من مهاويهم المتوحلة يحملقون ، يرونه قميئا ويسخرون • والمؤمن فى مواجهتهم يردد قول الله : « ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون • فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ، ويحل عليه عذاب مقيم » هود ٣٨ ــ ٣٩ • ويستهدى بمثل قول الله : ــ « ان الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون • واذا مروا بهم يتغامزون • واذا انقلبوا الى أهلهم انقلبوا فكهين • واذا رأوهم قالوا ان هؤلاء لضالون • وما أرسلوا عليهم حافظين • فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون • » المطففين ٢٩ ــ ٣٤ • ويحلق فى آفاق قول الله : « واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للذين آمنوا أى الفريقين خير مقاما وأحسن نديا • وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثا ورئيا • قل من كان فى الضلالة فليمدد له الرحمن مدا ، حتى اذا رأوا ما يوعدون ، اما العذاب ، واما الساعة فسيعلمون من هو شر مكانا وأضعف جندا • ويزيد الله الذين اهتدوا هدى ، والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير مردا) مريم ٧٣ ــ ٧٦

وتوحيد الخوف والرجاء مقتضى كلمة التوحيد « لا اله الا الله » التى تفرد الله بالربوبة والألوهية والقيومية ، والهيمنة ، والسلطان • والتى ترفض الأرباب المتفرقين • والتى تجتث دابر النباتات الشيطانية والطفيلية التى تعوق النمو ، وتموه السبل ، وتعوق المسيرة الى الله •

وعلى الصراط السوى صراط الله •• يستعلى المؤمن ، ويسمع وجع القرآن « انك أنت الأعلى » طه « ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون •• » آل عمران •

هكذا يربى القرآن أمة الاسلام • ويمضى بهم •

١ ــ مذللا عقبات الجبلة والغريزة والهوى ، كاشفا مواقع الأعداء وأصداء العداوة ، والشرر المتطاير من صدور موغرة بالحقد

٢ ــ خائضا بهم معارك ضد علل النفس ، وجحافل الأعداء ، يحاورهم فيفحم ، ويدور بهم ويكشف ، ويشهر ويلعن •

٣ ــ بانيا دعائم العقيدة

٤ ــ واضعا أسس المنهج القويم الذى يغمر الحياتين بالروح والنور •

وأصول هذه التربية هى ذخيرة المسلم اليوم كما كانت ذخيرة مسلم الأمس • وهى مناط الرفعة والمنعة ، وطريق الأمن الكامل والكمال الحصين • واضعا نظام المجتمع المسلم ، راسما خطوط السياسة التى تكفل الظهور ، وتقى من العثار ، وتوفر فرص التطور • وفى معية هذه الذخائر يستعصى المسلم على مناوئيه ويمتنع كما امتنع الاسلام ، ويظهر كما ظهر الدين ويمسى ، ويصبح ، أهلا للنهى العزيز « فلا تخشوهم واخشون »

وان فاصل هذه الذخائر استبيح وهان وعاش حائر اللب طائر الجنان تخدعه البسمة ، وتردعه الصيحة ، وترديه قعقعة السلاح •

كل ذلك ودينه قد ارتفع به الى ذروة شعارها « اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون »

يتبع ان شاء الله

بخارى أحمد عبده

باب السنة

يقدمه

فضيلة الشيخ محمد على عبد الرحيم

الرئيس العام للجماعة

الهجـــرة

بعث النبى صلى الله عليه وسلم ، بين أقوام دأبهم الجفوة والغلظة ولا دين لهم الا أن يعبدوا أصناما لا تنفع ولا تضر ، ولا حجة لهم فى ذلك الا أن يكونوا مقلدين للآباء والأجداد • وليس لديهم من مكارم الأخلاق الا ما كان مرتبطا بالعزة والعجب والأنفة والكبرياء •

ولم يجتمعوا على دين واحد ، بل تعددت آلهتهم كاللات والعزى ومناة ، وهبل وعبل ، وأساف ونائلة ، الى غير ذلك من الآلهة الباطلة • فلما بعث النبى صلى الله عليه وسلم ، بالتوحيد الخالص ، جحد أهل مكة الرسالة ، وقعدوا بكل صراط يوعدون ، ويصدون عن سبيل الله من آمن به ، ولما دعاهم الى عبادة اله واحد قالوا (أجعل الآلهة الها واحدا؟ ان هذا لشىء عجاب)

غير أن ذوى العقول السليمة بادروا الى التصديق ونبذ الأوثان ، أما من استحوذت عليه كبرياؤه ، وأعمته الرياسة ، وغرق فى بحر الجاهلية الجهلاء ، رفض الدخول فى الاســـلام ، خشية أن تسلب منه عظمته ومكانته فى قريش •

وأول من سطع نور الاسلام فى قلبه : خديجة بنت خويلد أم المؤمنين رضى الله عنها ، وعلى بن أبى طالب ، ابن عم الرسول صلى الله عليه وسلم ، الذى كان يقيم معه تخفيفا عن أبى طالب ، الـــذى

كان مقلا كثير الأولاد ، وأجاب الدعوة أيضا زيد بن حارثة ، وكان النبى صلى الله عليه وسلم اشتراه فى الجاهلية وأعتقه ، كما أجابت الدعوة أم أيمن رضى الله عنهم أجمعين •

وكان أول من أجابه من غير أهل بيته أبو بكر الصديق رضى الله عنه، الذى كان صديقا حميما لرسول الله صلى الله عليه وسلم قبل النبوة،ويعلم ما اتصف به عليه الصلاة والسلام من مكارم الأخلاق • فلما أخبره الرسول صلى الله عليه وسلم برسالة ربه أسرع بالتصديق وقال : بأبى أنت وأمى يارسول الله : أشهد أن لا اله الا الله ، وأنك رسول الله • وكان رضى الله عنه على سعة من المال وكرم الأخلاق • وكان من أعف الناس ، سخيا يبذل ماله ، محببا فى قومه • وكان النبى صلى الله عليه وسلم يستشيره فى أموره كلها • وقال فى حقه (ما دعوت أحدا الى الاسلام الا كانت له كبوة غير أبى بكر) • وكان الرسول يدعو الى الله سرا وقام بدعوته أبو بكر رضى الله عنه ، فاستجاب للدعوة عثمان بن عفان بدعوة من أبى بكر ، وأسلم الزبير بن العوام ، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبى وقاص ، وطلحه بن عبيد الله ، وعبد الله بن مسعود ، وقليل غيرهم رضى الله عنهم أجمعين •

ولما دخل فى الاسلام ما يربو على الثلاثين ، نزل قوله تعالى (فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين) فجهر الرسول صلى الله عليه وسلم بالدعوة واثقا بنصره تعالى • وسخرت قريش منه واستهزأوا به • وكان أشدهم استهزاء وايذاء أبو جهل لعنه الله تعالى ، وأبو لهب عم النبى عليه الصلاة والسلام ، والعاص بن وائل ، والأسود بن عبد المطلب الأسدى ، والوليد بن المغيرة عم أبى جهل ، وغيرهم من صناديد قريش الذين أهلكهم الله تعالى وأراح المسلمين من شرهم فى غزوة بدر •

ثم أعز الله الاسلام ، فأسلم حمزة عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبعده عمر بن الخطاب رضى الله عنهما ، فعز على قريش

أن يفشو الاسلام وينمو ، فاشتد ايذاؤهم لرسول الله وصحبه ، ايذاء لا تحتمله الجبال ، ووصل بهم ذلك الى مقاطعة المسلمين ، وذلك بأن لا يعاملوهم فى بيع أو شراء ، ولا يناكحوهم ، وداموا على ذلك بمقتضى اتفاق كتبوه وعلقوه داخـــل الكعبة ليقوموا بالوفاء به خير الوفاء • واشتد الأذى بالمسلمين حتى هاجر بعضهم الى الحبشة مرتين فرارا بدينهم • وكلما ازداد المشركون ايذاء كلما اشتد رسول الله صلابة فى الحق • حتى كان لا بد من الهجرة من دار الظلم والطغيان الى دار الأمن والسلام •

وكان للهجرة تمهيد أراده الله تعالى ، ففى موســـم الحج قبل الهجرة بثلاث سنين ، تعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفر من أهل المدينة (الأنصار) يبلغ عددهم الستة ، من قبيلة الخزرج وهم : أسعد بن زرارة ، وعوف بن الحارث من بنى النجار ، ورافع بين مالك، وقطبة بن عامر ، وعقبة بن عامر ، وجابر بن عبد الله • ودعاهم الى الاسلام سرا فى منى • فآمنوا وصدقوه ، ووعدوه المقابلة فى الموسم القادم • وهؤلاء الستة هم بدء الاسلام والنواة الأولى لعرب المدينة•

فلما كان العام المقبل ، قدم اثنا عشر رجـــلا ، فاجتمعوا عند العقبة بمنى ليلا ، وأسلموا وبايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، على ألا يشركوا بالله شيئا ، ولا يسرقوا ، ولا يزنوا ، ولا يقتلوا ، ولا يأتوا ببهتان يفترونه بين أيديهم وأرجلهم ، ولا يعصوا فى معروف• فان وفوا فلهم الجنة ، وهذه هى بيعة العقبة الأولى ، فأرسل رسول الله معهم مصعب بن عمير ، وعبد الله بن أم مكتوم (وهو ابن خالة خديجة رضى الله عنها) يقرئانهم القرآن ، ويفقهانهم فى الدين ، وبهم انتشر الاسلام بالمدينة •

ولما كان وقت الحج من العام الذى يلى بيعة العقبة الأولى ، قدم مكة كثير من أهل المدينة يريدون الحج ، وبينهم كثير من المشركين• وبعد مضى ثلث الليل الأول من احدى ليالى منى ، التقى بهم رسول

الله صلى الله عليه وسلم وكان عددهم ٧٣ رجلا وامرأتين ، فبايعوه على نصرته • وقالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم : خذ لنفسك ولربك ما أحببت • فقال صلى الله عليه وسلم : أشترط لربى أن تعبدوه وحده ولا تشركوا به شيئا ، وأشترط لنفسى أن تمنعونى مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم متى قدمت عليكم •

ولما رحل هؤلاء الى المدينة ظهر بينهم الاسلام أكثر من المرة الأولى • فكان ذلك تمهيدا لنقل الدعوة الاسلامية من مكة الى المدينة•

أما رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، فانه ازداد عليهم أذى المشركين ، وازدادت الشدة حينما سمعوا أن النبى عليه الصلاة والسلام ، حالف قوما عليهم • فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم جميع المسلمين بالهجرة الى المدينة ، فصاروا يهاجرون متسللين سرا ، خشية أن تمنعهم قريش • ولم يبق منهم بمكة الا أبو بكر وعلى وصهيب وزيد بن حارثة ، وقليل من المستضعفين • وقد أراد أبو بكر أن يهاجر ، فقال له عليه الصلاة والسلام : على رسلك فانى أرجو أن يؤذن لى ، فحبس أبو بكر نفسه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصحبه • وعلف راحلتين استعدادا لذلك •

أما قريش فقد أصابهم ما أصابهم حينما سمعوا مبايعة الأنصار لرسول الله صلى الله عليه وسلم على الذود عنه حتى الموت • فاجتمع رؤساؤهم وقادتهم فى دار الندوة ، يتشاورون ما يصنعون فى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خافوه ، فقال قائل منهم : نخرجه من أرضنا كى نستريح منه ، فرفض هذا الرأى خشية أن يجتمع حوله الجموع لما يرون من حلاوة منطقه وعذوبة لفظه ، وقال آخر : نوثقه ونحبسه حتى يدركه الموت • فرفض هذا الرأى أيضا ، فقال طاغيتهم: بل نقتله وذلك بأن نأخذ من كل قبيلة شابا جلدا ويجتمعون أمام داره، فاذا خرج ضربوه ضربة رجل واحد ، فيفرق دمه فى القبائل ، فلا يقدر بنو عبد مناف على حرب قريش كلها • وأعجبهم هذا الرأى •

هذا مكرهم • ولكن ارادة الله فوق كل ارادة (ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين) فأعلم الله تعالى نبيه بما دبره الأعداء ، وأمره بالهجرة الى يثرب (المدينة) حيث ينتشر الاسلام ، ويكون لرسول الله صلى الله عليه وسلم العزة والمنعة •

فتوجه من ساعته الى الصديق أبى بكر ، وأعلمه أن الله تعالى قد أذن له بالهجرة • فسأله الصديق الصحبة • قال : نعم • ثم فارق الرسول أبا بكر وواعده المقابلة ليلا خارج مكة • وكانت هذه الليلة هى ليلة استعداد قريش لتنفيذ ما أقروا عليه • فاجتمعوا حول باب الدار ، ورسول الله داخله • فلما جاء ميعاد الخروج ، أمر النبى صلى الله عليه وسلم ابن عمه عليا بالمبيت مكانه كى لا يقع الشك فى وجوده أثناء الليل • فانهم كانوا يرددون النظر من شقوق الباب ليتأكدوا من وجوده • ثم تسجى على ببرد الرسول • وخرج عليه الصلاة والسلام وهو يقرأ (وجعلنا من بين أيديهم سدا ، ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون) فألقى الله النوم عليهم حتى لم يره أحد • ولم يزل عليه السلام سائرا حتى التقى بالصديق ليلا وسارا الى غار ثور (جنوب مكة فى طريق اليمن) فاختفيا فيه • أما المشركون فلما خاب سعيهم ، وعلموا بفساد مكرهم ، وأنهم كانوا يحرسون عليا لا محمدا، هاجت عواطفهم وبعثوا البعوث فى كل جهة للبحث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجعلوا الجوائز لمن يأتى بمحمد أو يدل عليه • وقد وصلوا فى طلبهم الى ذلك الغار الذى فيه بغيتهم بحيث لو نظر أحدهم تحت قدميه لنظرهما • حتى أبكى ذلك أبا بكر خوفا على رسول الله صلى الله عليه وسلم • فقال عليه الصلاة والسلام (ما بالك باثنين الله ثالثهما • لا تحزن ان الله معنا) فأعمى الله أبصار المشركين وانصرفوا•

أما رسول الله وأبو بكر فقد أقاما ثلاث ليال ، حتى ينقطع الطلب • وكان يبيت عندهم عبد الله بن أبى بكر وهو شاب ثقف ، يخرج من عندهما وقت السحر ، ليصبح مع قريش بمكة كأنه يبيت بها • فلا يسمع أمرا من قريش الا وعاه حتى يأتيهما بخبر ذلك حين

يدخل الظلام ، ولما انقطع الطلب خرجا بعد أن جاءهما الدليل بالراحلتين صبح ثلاث • وســـارا متبعين طريق الساحل • وفى الطريق لحقهم سراقة بن مالك • وكان يعلم بالجائزة التى أعدتها قريش لو جاء بمحمد مقتولا أو أسيرا أو دل عليه • فعثرت به فرسه فخر عنها • ثم ركبها ثانية وسار حتى يسمع قراءة المصطفى صلى الله عليه وسلم وهـــو لا يلتفت وأبو بكر يكثر الالتفات • فساخت قائمتا فرس سراقة فى الأرض حتى بلغتا الركبتين ، فخر عنها ثم زجرها حتى نهضت • فلم تكد تخرج يديها حتى سطع لأثرهما غبار ساطع فى السماء مثل الدخان، فعلم سراقة أن عمله ضائع سدى • وعاد سراقة بعـــد أن اعتقد أن سيظهر أمر الرسول على قومه •

وكان أهل المدينة حينما سمعوا بخروج النبى صلى الله عليه وسلم وقدومه عليهم يخرجون الى الحرة (أرض ذات حجارة سوداء تحيط بالمدينة حماية لها) وتلقى أهل المدينة رسول الله بالحرة بالأفراح والمسرات • وكان ذلك فى ربيع الأول على التحقيق •

ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بنى عمرو بن عوف بقباء • وأسس مسجد قباء الذى شهد الله له بأنه مسجد أسس على تقوى من الله ورضوان •

ثم تحول رسول الله الى المدينة والأنصار محيطون به ، متقلدو سيوفهم ، والسرور يملأ قلوبهم •

وكان الناس يسيرون وراء رسول الله ما بين راكب وماش ، يتنازعون زمام ناقته كل يريد أن يكون نزيله عنده •

وأدركته عليه الصلاة والسلام صلاة الجمعة ، فى بنى سالم بن عوف • فنزل وصلاها • وكانت أول جمعة له فى الاسلام • وأول خطبة خطبها عليه الصلاة والسلام • فبعد أن حمد الله وأثنى عليه قال : أما بعد ، فقدموا لأنفسكم ، تعلمن والله ليصعقن أحدكم ثم ليدعن غنمه ليس لها راع ثم ليقولن له ربه ليس له ترجمان ولا حاجب يحجبه دونه : ألم يأتك رسولى فبلغك وآتيتك مالا وأفضلت عليك • فما قدمت

لنفسك ؟ فينظر يمينا وشمالا فلا يرى شيئا • ثم ينظر قدامه فلا يرى غير جهنم • فمن استطاع أن يقى وجهه من النار ولو بشق تمرةفليفعل• ومن لم يجـد فبكلمة طيبة ، فانها تجزىء الحسنة عشرة أمثالها الى سبعمائة ضعف • والسلام عليكم ورحمة الله •

ثم ساروا • وكلما مروا على دار من دور الأنصار يتضرع أهلها بأن ينزل عندهم ويأخذون بزمام الناقة • فيقول دعوها فانها مأمورة• ولم تزل سائرة حتى أتت بفناء بنى عدى بن النجار • وهم أخواله الذين تزوج منهم هاشم جـده • فبركت الناقة أمام دار أبى أيوب الأنصارى • وذلك موضع المسجد النبوى الشريف بالمدينة • فقال الرسول عليه الصلاة والسلام (ههنا المنزل ان شاء الله : رب أنزلنى منزلا مباركا وأنت خير المنزلين) •

أما المهاجرون فقد تنافس فيهم الأنصار • فحكموا بالقرعة بينهم• فما نزل مهاجر على أنصارى الا بقرعة (والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ، ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) وهذا أعلى درجات الأخوة •

ثم آخى رسول الله بين المهاجرين والأنصار ــ فكان كل أنصارى ونزيله أخوين فى الله ، ودامت هـذه الأخوة حتى نزل قوله تعالى (وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله) ثم شرع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بناء مسجده الشريف فى مبرك ناقته أمام محلة بنى النجار وكان يعمل معهم فى البناء ويقول : ــ

اللهم لا خير الا خير الآخرة فارحم الأنصار والمهاجرة

هذه الهجرة غيرت مجرى التاريخ ، وتفجرت من الاسلام مبادىء الانسانية • فعلى المسلمين أن يتخذوا منها العظة والعبرة ، بالصبر على الحق ، والثبات على اليقين (ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز)

حكمة الهجرة وسبب مشروعيتها

قال صاحب المنار : ــ شرعت الهجرة لثلاثة أسباب ، اثنان منها يتعلقان بالأفراد والثالث يتعلق بالجماعة (١) : ــ

١ ــ أما الأول فهو أنه لا يجوز لمسلم أن يقيم فى بلد يكون فيها ذليلا مضطهدا فى حريته الدينية والشخصية • فكل مسلم يكون فى مكان يفتن فيه عن دينه ، أو يكون ممنوعا من اقامته فيه كما يعتقد ، يجب عليه أن يهاجر منه الى حيث يكون حرا فى اقامة دينه • وهذا هو الذى عناه الامام محمد عبده بما قاله عن المسلمين المقيمين فى بلاد الانجليز متمتعين بحريتهم الدينية •

٢ ــ أما الثانى فهو تلقى الدين والتفقه فيه وكان ذلك فى عصر النبى صلى الله عليه وسلم ، فيجب أن يهاجر المسلم حيث يتلقى الدين والعلم •

٣ ــ أما الثالث المتعلق بجماعة المسلمين • فهو أنه يجب على مجموع المسلمين أن تكون لهم جماعة أو دولة قوية تنشر دعوة الاسلام، وتقيم أحكامه وحدوده وتحفظ بيضته وتحمى دعاته وأهله من بغى الباغين وعدوان العادين ، وظلم الظالمين ، الى أن قال : كانت هذه الأسباب الثلاثة متحققة قبل فتح مكة فلما فتحت قوى الاسلام على الشرك فى جزيرة العرب كلها وصار الناس يدخلون فى دين الله أفواجا والنبى صلى الله عليه وسلم يرسل الى كل جهة من يعلم أهلها شرائع الاسلام فزال سبب الوجوب • ولذلك قال صلى الله عليه وسلم (لا هجرة بعد الفتح ، ولكن جهاد ونية ، واذا استنفرتم فانفروا) متفق عليه

والله ولى التوفيق

محمد على عبد الرحيم

---

(١) بتصرف نقلا عن تفسير المنار الجزء الخامس (تفسير الآيات من ٩٧ ــ ١٠٠ من سورة النساء)

إلى الإسلام من جديد

بقلم علي محمد قريبة

- ١٢ -

لقد عرفنا فى المقال السابق المواصفات التى ينبغى توافرها فى المجتمع المسلم ، والتى يمكن تحقيقها بعد اعداد الفرد المسلم .. واليوم ننتقل الى اعداد الأسرة المسلمة .. من هؤلاء الأفراد الذين تربوا على منهج الله سبحانه ، باعتبارهم اللبنات الصالحة لبناء الأسرة المنشودة. ومن البديهى أن يقوم تلاحم الرجل المسلم بالمرأة المسلمة فى هذا البناء الجديد عن طريق الزواج المعتمد على الايجاب والقبول والاشهاد باعتباره الأسلوب الذى اختاره الله سبحانه لاعفاف النفس عن الحرام ، واستقرارها ، واستمرار الحياة الكريمة النظيفة ، ولايجاد مناخ تنمو فيه مشاعر العطف والود ، والشعور بالتبعة ، ولانشاء حياة جديدة تتمثل فى جيل جديد .

ولذلك فاننا نجد الاسلام يرغب فى الزواج بصور شتى : ــ فتارة يؤكد أنه من سنن الأنبياء والمرسلين ، وهم من ينبغى أن نقتدى بهم ، لقول الله تبارك وتعالى (ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية) ولقول الرسول صلى الله عليه وسلم (أربع من سنن المرسلين: الحياء والتعطر والسواك والنكاح) . وتارة يذكره فى معرض الامتنان فيقول عز وجل (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ، ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون) ويقول سبحانه (والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا ، وجعل لكم من

أزواجكم بنين وحفدة) • كما يقول صلى الله عليه وسلم (ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله عز وجل خيرا له من زوجة صالحة) كما يقول (الدنيا متاع وخير متاعها الزوجة الصالحة) بل ان المصطفى صلى الله عليه وسلم ينفى أن ينسب اليه الموسر القادر على الزواج ولم يفعل فيقول (من كان موسرا لأن ينكح فلم ينكح فليس منى) •

بل ان الاسلام ذهب الى أبعد من ذلك فأوجبه على من يقدر عليه ويرغب فيه ويخشى العنت ، باعتبار أن صيانة النفس واعفافها عن الحرام واجب • ومادام ذلك لا يتم الا بالزواج فان الزواج يصبح حينئذ واجبا عليه طبقا للقاعدة الأصولية القائلة (ما لا يتم الواجب الا به فهو واجب) وانطلاقا من هذا المفهوم يأمر الله الجماعة المسلمة أن تعين من يقف المال فى طريقهم الى النكاح الحلال لقوله تعالى (وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم) •

(مبادىء وآداب ينبغى مراعاتها عند اقامة الأسرة المسلمة)

لقد حض الاسلام على رعاية كل ما من شأنه أن يحافظ على استقرار الأسرة واستمرارها وتهيئتها لانجاب جيل قوى واع مسلم مثل : —

١ — حسن الاختيار •

بالنسبة للزوجة لا بد أن تكون صالحة ، عفيفة ، مطيعة لزوجها ، محافظة على نفسها وعلى ماله فى غيبته لقول الله تعالى (فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله) وقوله سبحانه (فآتوهن أجورهن بالمعروف محصنات غير مسافحات ولا متخذات أخدان) • ولقوله صلى

الله عليه وسلم (تنكح المـرأة لأربع لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك) وقوله عليه الصلاة والسلام (ماستفاد المؤمن بعـد تقوى الله خيرا له من زوجة صالحة ان أمرها أطاعته وان نظر اليها سرته ، وان أقسم عليها أبرته وان غاب عنها حفظته فى نفسها وماله) .

وكذلك بالنسـبة للزوج : لابد أن يكـون صالحا ، أمينا مصداقا لقوله تعالى (وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم) وقوله سبحانه (ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم) . ولقوله عز وجل حين يحكى قصة موسى مع شعيب عليهما السلام (انى أريد أن أنكحك احدى ابنتى هاتين على أن تأجرنى ثمانى حجج) بعـد قوله (ان خير من استأجرت القـوى الأمين) .. ولقول الرسـول الكريم (اذا أتاكم من ترضون دينه وأمانته فزوجوه ، الا تفعلوا تكن فتنة فى الأرض وفسـاد كبير) وقوله (من زوج كريمته من فاسـق فقد قطع رحمها) .

وبجانب ذلك ينبغى مراعاة الكفاءة بين الزوجين عند اقامة الأسرة حتى لا يستعلى أحدهما على الآخر فى وقت من الأوقات أو تحت أى ضغط من ضغوط الحياة لقول الرسول الأمين (تخيروا لنطفكم وأنكحوا الأكفاء) ولقول عمـر بن الخطاب رضى الله عنه (لأمنعن فروج ذوى الأحساب الا من الأكفاء) وقوله أيضا (لا تكرهوا فتياتكم على الرجل القبيح فانهن يحببن ما تحبون) .

٢ ــ عدم المغالاة فى المهر والجهاز .

ينبغى على كـل مسلم وعلى كل المجتمعات الاسـلامية أن تزيل العقبات القائمة فى طريق الزواج لتجرى الحياة على طبيعتها وبساطتها.

وبخاصة العقبة المالية باعتبارها العقبة الأولى فى طـريق بناء الأسرة وتحصين النفوس • وسبق أن بينا مسئولية المجتمع فى معاونة من يقف المال فى طريقهم الى النكاح الحلال • ومن هنا تقضى روح الاسـلام بعدم المغالاة فى المهور عمـلا بمفهوم قوله صلى الله عليه وسلم (ان أعظم النساء بركة أيسرهن صداقا) •

ولا يخفى مـا للمغالاة فى المهر والجهاز من ارهاق مادى ونفسى وبخاصة فى ظلال أزمة المساكن التى تئن منها بعض المجتمعات الاسلامية ان لم يكن معظمها • وذلك يترك أثـره السيء فى نفس العروسين قبل الزفاف وبعده مما يتنافى مع الهدف الأسمى من بناء الأسرة فى الاسلام•

٣ ــ رعاية حقوق الزوجة •

على الزوج أن يوفى زوجه حقها ممثلا فى

ا ــ المهر لقوله تعالى (وآتوا النساء صدقاتهن نحلة)

ب ــ النفقة لقوله سبحانه (الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم) وقـوله عز من قائل (وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف) ولقول المصطفى صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عنه معاوية بن حيدة رضى الله عنه : قلت يارسول الله ما حق زوجة أحدنا عليه ؟ قال (أن تطعمها اذا طعمت ، وتكسوها اذا اكتسيت ، ولا تضرب الوجه ولا تقبح ، ولا تهجر الا فى البيت) •

جـ ــ حسن عشرتها لقوله تعالى (وعاشروهن بالمعروف) ولقوله صلى الله عليه وسلم (خيركم خيركم لأهله) وقوله (لا يفرك المؤمن

مؤمنة ان كره منها خلقا رضى منها آخر) وقوله (استوصوا بالنساء خيرا فانهن خلقن من ضلع أعوج ، وان أعوج شيء فى الضلع أعلاه ، فان ذهبت تقيمه كسرته ، وان تركته لم يزل أعوج فاستوصوا بالنساء خيرا) .

د ــ القسمة العادلة بينها وبين ضراتها ان وجدن : من حيث النفقة والبيتوتة تأسيا برسول الله صلى الله عليه وسلم فقد كان يعدل بين نسائه مع أن عائشة كانت أحبهن الى قلبه ولهذا كان يقول (اللهم هذا قسمى فيما أملك فلا تلمنى فيما تملك ولا أملك) يعنى القلب . كذلك كان صلى الله عليه وسلم اذا أراد السفر لغزو أو غيره أقرع بين نسائه فمن خرجت لها القرعة أخذها معه .. والله تبارك وتعالى يقول (فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع . فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى ألا تعولوا) ويقول أيضا عن الميل القلبى (ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة ، وان تصلحوا وتتقوا فان الله كان غفورا رحيما) والرسول الكريم يقول (من كانت له امرأتان فمال الى احداهما دون الأخرى جاء يوم القيامة وأحد شقيه مائل) .

هـ ــ الغيرة المعتدلة عليها : بمعنى أن الزوج لا يتغافل عن الأمور التى تخشى مغبتها ويصعب علاجها اذا أهملت . فلا يسكت على تقصير فى واجب أو ميل الى سوء حتى لا تستمرىء ذلك فيصبح لها خلقا يصعب علاجه . وعندئذ اذا أراد أن ينكره ويمنعه فلم يستطع فان الأمر قد يؤدى الى الشقاق أو الانفصال .. والوقاية خير من العلاج. وفى هذا المعنى يروى عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (ثلاثة قد حرم الله عليهم الجنة : مدمن الخمر ، والعاق

لوالديه ، والديوث الـــذى يقرالخبث فى أهله) وقال صلى الله عليه وسلم عن غيرة سعد بن معاذ (أتعجبون من غيرة سعد ؟ أنا والله أغير منه والله أغير منى) •

و ــ الاعفاف بالاشباع الجنسى : فكما يهتم الزوج بصحة زوجه وحسن قوامها كذلك ينبغى عليه أن يدرك أنها تحب أن تراه كذلك •• وأن تشبع حاجتها الجنسية منه وان له على ذلك لأجرا عند الله لقول الرســـول صلى الله عليه وسلم (وفى بضع أحدكم صدقة) وجمهور العلماء يحرمون العزل عن المرأة الحرة الا باذنها •

ز ــ الرعاية الحسنة والتوجيه الدينى السليم : فلا ينبغى أن يهتم الزوج بصحة زوجه والمحافظة على جمالها فقط ويهمل سلوكها الخلقى والدينى لقوله تعالى (يأيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة) وقوله سبحانه (وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقا) ولقول الرسول الكريم (والرجل راع فى أهله ومسئول عن رعيته) •

وهكذا ينبغى أن تنال الزوجة المسلمة حقوقها كاملة حتى تستقر نفسيا وحتى يمكن أن يكون عطاؤها لبيتها وأسرتها ومجتمعها كاملا كما يريد الله ورسوله •

وأما حقوق الزوج على زوجه وبقية المبادىء والآداب التى يقوم عليها البيت المسلم فذلك ما سنتحدث عنه بمشيئة الله تعالى فى مقال لاحق • فالى لقاء •

على محمد قريبه

— ٩ —

الوسيلة أو الواسطة بين الخلق والخالق

ليست هناك واسطة بين الله وخلقه سوى أعمالهم الصالحة التى توفر فيها شرطان (بعد سلامة الاعتقاد) •

الأولا ــ اخلاص لله فى القول والعمل •

الثانى ــ اتباع للرسول صلى الله عليه وسلم فى القول والعمل• ومن أخطأ الهدف فالسبل المؤدية الى الله موصدة أمامه • والأدلة فى هذا الميدان أكثر من أن تحصى •

أخى القارىء :

ألستمعى أن الوسيلة والواسطة لاستخراج الماء من الآبار هى الدلاء أو الآلات الحديثة بشرط خلوها من العيوب والتلف ؟

ألست معى فى أن وسيلة النجاح هى التعلم والصبر على ما فيه من مشقة البحث والاطلاع والعقل والنقل فى مختلف الأمصار والأجواء ؟

ألست معى فى أن وسيلة الزواج هى حسن الاختيار والعمل على اعداد منزل الزوجية الى آخر ما هو فى دنيا الناس ؟

ثم ألست معى فى أن أى خطأ فى هذه الوسائل لا يمكن أن يحقق لك ما تريد •

وكذلك المؤمن له هدف الوصول الى السعادة فى حياته الآخرة، ودخول الجنة والتمتع بما فيها من لذة النظر الى وجه الله سبحانه، وغير ذلك مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر • وهذا لا يتأتى الا بالشرطين المذكورين : اخلاص لله ، واتباع لرسول الله •

ومن يتدبر القرآن عند تلاوته أو سماعه يلحظ أن الله تبارك وتعالى أوضح لنا الوسيلة التى تقربنا الى الله سبحانه وذلك حيث يقول :

« فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ، ولا يشرك بعبادة ربه أحدا » ورتب جل شأنه غفران الذنوب وتكفير السيئات على التقوى فقال : « يأيها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم » ٢٩ ــ الأنفال • ويقول « يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته • ويجعل لكم نورا تمشون به ويغفر لكم والله غفور رحيم » ٢٨ ــ الحديد •

والقرآن الكريم ملىء بمثل هذا ، حيث يرتب الخير على عمل الخير ، وكذا يبنى النتائج على الأعمال حتى دخول جهنم مقرون بالسير فى سبيل الشيطان من شرك وما دونه من المهلكات • فيقول سبحانه « يأيها الناس ان وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور • ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا ، انما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير » ٥ ، ٦ ــ فاطر •

ولكن الظنون والأوهام تلعب دورها مع المفتونين فيزعمون أن الوسيلة توسط الى الله تعالى بمقبور لكشف الكربات وازاحة البلوى •

وانى لسائل هؤلاء الواهمين : لماذا وسطتم الموتى الى الله تعالى ؟ فان كان جوابكم ــ كما تعودنا أن نسمع منكم ــ هو قول الله تعالى « يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة » فليست حجة لكم ، فتقوى الله تكليف بعمل الخير والبعد عن الشر،

وابتغاء الوسيلة اليه سبحانه بذل الجهد فى عمل الطاعات وترك المنكرات .

والعقل السليم يأبى أن يوسط ميتا زال عن الحياة بشتى مادياته. فأصبح لا يدرى عن أهلها شيئا ، ضعيفا لا يستطيع أن يدفع عن نفسه فتيلا ، فقيرا الى عفو الله ورحمته ، عاجزا بكل ما تحمل هذه الكلمة من معان ..

والقرآن شاهد صدق ودليل عدل على أن المصطفين الأخيار من رسل الله سبحانه توسلوا الى المولى جل جلاله وقت الأزمات بذل الدعاء وكبير الرجاء . فهذا يونس رسول الله يقول القرآن تسجيلا لموقفه وهو فى بطن الحوت حيث أصبح قبرا له يسعى به فى ظلمات بعضها فوق بعض أياما وليالى « وذا النون اذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه ، فنادى فى الظلمات أن لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين . فاستجبنا له ونجيناه من الغم ، وكذلك ننجى المؤمنين » ٨٧ ــ ٨٨ الأنبياء . ولولا ذلك للبث فى بطنه الى يوم يبعثون .

وعلى هذا النحو كانت حياة الرسل عليهم السلام ، يجأرون الى الله ويلجئون اليه فى شتى أمورهم ، دون تهاون أو تفريط . والحق تبارك وتعالى يأمر عبده محمدا صلى الله عليه وسلم بقوله « قل انى أخاف ان عصيت ربى عذاب يوم عظيم » وهذا ابراهيم خليل الله سبحانه حين ألقاه قومه فى نار أوقدوها ، فيسرع اليه جبريل عليه السلام ، يعرض عليه المعونة فلم يكن من ابراهيم الا أن رفض المساعدة من عبد مثله ، وقال « أما اليك يا جبريل فلا ، وأما الى ربى فهو حسبى ونعم الوكيل » ورسولنا الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم يؤثر عنه وقت الشدة قوله « يا حى يا قيوم برحمتك أستغيث» وناهيك بموقفه عند أوبته من الطائف مكلوم الفؤاد ، حيث ايذاء الناس له ، وتمركز أهل مكة لمنعه من دخولها ، توجه الى الله بالشكوى، قائلا « اليك أشكو ضعف قوتى وقلة حيلتى وهوانى على الناس

يا أرحم الراحمين ..» الى آخر ما قال لعلمه بأن الله أقرب اليه من كل شيء ، وأنه كاشف الضر والبلوى دون أن يوسط اليه ملكـا أو رسـولا .

وختاما ـ ألم يسمع هؤلاء الواهمون حديث أصحاب الغـار؟ وهم ثلاثة اضطروا الى الايواء هربا من المطر ، فانحدرت صـخرة أغلقت عليهم باب الغار ، وبعد لأى استقر رأيهم أن يتوسلوا الى الله بأزكى عمل عمله كل منهم قبل ورطتهم هذه ، فبرهن أولهم أنه كان بارا بوالديه ولم يقدم فى البر عليهما أحدا من أهل وولد ، ثم نادى الله قائلا : اللهم ان كنت فعلت هذا ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه ، فانفرج ثلث الصخرة . وقال الثانى برهان عمله الطيب ، حيث ترك ابنة عمه وهو قادر على فض خاتم عفافها ، وترك لها الذهب حسبة لله تعالى ، وخوفا منه ، ونادى قائـلا : اللهم ان كنت فعلت هذا ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه ، فانفرج ثلث الصـخرة الثانى ، ولكن لا يستطيعون الخروج . واستجمع الثالث فكره وتذكر أنه استأجر عمالا فى عمله يعملون ، وأعطى كلا منهم أجره الاواحدا منهم ، فنمى أجره حتى أصبح قطعانا من النعـم ، ودارت الأيام دورتها وجاء صاحب الأجرة يطلب أجره ، فقال الرجل بعد أن اطلعه على نتاج أجره : لك كل هذا ، فاستاق الأجير كل شيء ولم يأخـذ المستثمر على ذلك جعلا ، فقال ـ مناديا ـ اللهم ان كنت فعلت هذا ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه ، فانفرجت الصخرة وخرجـوا يمشون .

أخى القارىء : بمثل هذا يكون التوسل الى الله سبحانه وتعالى، وبدون ذلك يكون كمن طلب الرى من غير مصادره ، أو كالمستجير من الرمضـاء بالنـار .

والى لقاء آخر والله المستعان .

ابراهيم شعبان يوسف

معانى ألفاظ القرآن

بقلم سليمان رشاد محمد

— ٤ —

تابع سورة النساء

٨٨ ــ أركسهم : ردهم الى كفرهم لا ظلما ولكن بسبب ما كسبوا من أعمال •

٩٠ ــ حصرت : ضاقت صدورهم من التردد والحيرة •

٩١ ــ أركسوا فيها : انقلبوا فى الفتنة وانغمسوا فيها •

ــ ثقفتموهم : وجدتموهم •

٩٤ ــ ضربتم فى سبيل الله : خرجتم مجاهدين فى سبيل الله •

ــ فتبينوا : فتعرفوا هل هم مسلمون أم كفار قبل قتالهم •

ــ ألقى اليكم السلام : لا تقولوا لمن قال لكم انه مسلم لست مؤمنا فلا شأن لكم بايمانهم ويكفى أنهم مسلمون لمنع قتالهم •

١٠٠ ــ مراغما : مكانا يذهب اليه ويلجأ اليه ومن ملجئه ومهربه يستطيع أن ينتصر على أعدائه ويرغم أنوفهم •

١٠٥ ــ خصيما : تخاصم وتدافع عنهم •

١٠٧ ــ يختانون أنفسهم : يخونون ويخفون خيانتهم فى أنفسهم •

١٠٨ ــ يستخفون : يخفون خيانتهم عن الناس ، ولكن الله علام الغيوب وعليم بما فى الصدور •

١١٢ ــ بهتانا : اتهام البرىء كذبا وافتراء •

١١٤ ــ نجواهم : أسرارهم وأحاديثهم الخاصة •

١١٥ ــ يشاقق الرسول : يخالفه ويعصيه •

١١٧ ــ مريدا : العاتى الشديد العتو والتمرد •

١١٨ ــ نصيبا مفروضا : جزاء محددا وعددا معلوما يضلهم ويمنيهم.

١١٩ ــ فليبتكن : يشقوا آذان الأنعام أو يقطعوا جزءا منها وبذلك لا تــذبح ولا يعمل عليها ولا تمنع من مرعى وكــل ذلك من الأوهام والخرافات ووحى الشيطان .

١٢١ ــ محيصا : لا مهربا ولا خلاصا .

١٢٤ ــ نقيرا : النقرة التى فى ظهر نواة التمر .

١٢٥ ــ ملة ابراهيم حنيفا : دين ابراهيم وهو التوحيد ، والحنيف هو الذى اعتزل عبادة الأصنام وتعبد لله وحده .

١٢٨ ــ نشوزا : جفاء واعراضا واهمالا لشئون أهله .

ــ الشح : الحرص والبخل الشديد .

١٢٩ ــ كالمعلقة : لا هى كمتزوجة فتواصل ولا كمطلقة فتترك .

١٣٥ ــ قوامين بالقسط : مراعين للحق والعدل من غير أن تنظروا لغنى لغناه أو فقير لفقره بل العدل التام فالله هو الــذى جعلهما كذلك وهو أولى بهما .

ــ تلووا : تميلوا عن اقامة العدل .

١٤١ ــ يتربصون بكم : ينتظرون يتمنون هزيمتكم .

ــ ألم نستحوذ عليكم : ألم نوالكم ونرعكم ونحميكم من المؤمنين.

١٤٤ ــ سلطانا : حجة .

١٤٥ ــ الدرك : المنزل والمكان .

١٥٥ ــ غلف : عليها غلاف وغشاوة .

ــ طبع : ختم وطمس .

١٥٩ ــ وان من أهــل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته : ما من أحد من أهل الكتاب الا سيؤمن بالمسيح على حقيقته ، فيعلم اليهود أنه كان صادقا ، ويعلم النصارى أنه كان بشرا وعبدا لله لا الها ولا ابن اله ، ولكن لن ينفعهم ذلك الايمان .

١٦٢ ــ الراسخون فى العلم : الثابتون المتثبتون .

١٦٣ ــ الأسباط : قبائل بنى اسرائيل الاثنى عشر المنحدرين من يعقوب عليه السلام ، وكان منهم الأنبياء .

١٧١ ــ لا تغلوا : لا تتجاوزوا حدود الحق .

ــ كلمته : أى كلمة (كن) .

ــ روح منه : نفخة من روحه أو مؤيد بروحه .

١٧٢ ــ لن يستنكف : لن يترفع ، أو يأنف ، أو يستكبر .

١٧٣ ــ وليا : معينا ، أو مدافعا .

١٧٤ ــ برهان : هو رسول الله ودلائل صدقه .

ــ نورا مبينا : القرآن كالنور يهدى الى الحق والى صراط مستقيم .

١٧٥ ــ واعتصموا به : آمنوا بالله وتمسكوا بدينه .

سورة المائدة ــ ٥

١ ــ أوفوا بالعقود : حافظوا على العهد والشرعية والانسانية .

ــ بهيمة الأنعام : أحل أكل لحومها .

٢ ــ لا تحلوا شعائر الله : لا تنقضوا شيئا من شرائع الله وأحكامه وعباداته .

ــ الهدى : ما يساق ويهدى الى الحرم من النعم .

ــ القلائد : ما يعلق فى أعناق البدن ليعلم أنها هدى فلا يعترض لها أحد .

ــ ولا آمين البيت الحــرام : ولا تعترضوا للحجاج القاصدين لبيت الله الحرام .

ــ ولا يجرمنكم : لا يحملنكم .

ــ شنآن : بغض شديد .

٣ ــ المنخنقة : ماتت خنقا ، فهى فى حكم الميتة المحرمة .

ــ الموقوذة : ماتت ضربا ، وحكمها حكم الميتة .

ــ المتردية : سقطت من مكان عال فماتت ، فهى ميتة .

ـ النطيحة : ماتت بنطح غيرها لها ، وهى ميتة أيضا •
ـ ذكيتم : أى ما أدركتم من كـل ذلك قبل أن تموت وذبحتموها وأنهرتم دمها فانها تصبح حلالا •
ـ ما ذبح على النصب : ما ذبح لغير الله فانه محرم أبدا ، كالذى يذبح نذرا لشيخ أو ولى كما يزعمون •
ـ تستقسموا بالأزلام : يحـرم أيضا محاولة معرفة ما قسم الله لك لأن ذلك من غيب الله • والأزلام : السهام والقداح •
ـ غير متجانف لاثم : غير مائـل لمعصية ، فانه يباح لـه فى حالة المخمصة والجوع الشديد أن يأكل من تلك المحرمات •

٤ ـ مكلبين : معلمين •
٥ ـ المحصنات : العفيفات من المؤمنات ومن الكتابيات •
ـ محصنين : متزوجين متحصنين بهن عن الفاحشة •
ـ مسافحين : مرتكبين جريمة الزنى •
ـ متخذى أخدان : خليلات ، وهو زنى أيضا•
ـ يكفر بالايمان : يجحد ويتنكر لشرائع الله •
٨ ـ قوامين لله : قائمين بالتمام بكل ما عهد الله الينا من أمر أو نهى•
١٢ ـ نقيبا : عرفاء الأسباط من بنى اسرائيل ضامنين لهم وشهودا عليهم •
ـ وعزرتموهم : وقرتموهم ونصرتموهم •
ـ لأكفرن : لأمحون سيئاتكم اذا فعلتم تلك الحسنات المذكورة•
١٣ ـ حظا مما ذكروا به : تركوا طائفة من أصل كتابهم •
١٤ ـ فأغرينا بينهم : أوقعنا بينهم بسبب أفعالهم ونقضهم لكتابهم•
١٦ ـ يهدى به : أى بالنور والكتاب المذكورين فى الآية السابقة فهما شىء واحد ، والضمير العائد اليهما فى (به) للواحد •
ـ سبل السلام : طريق النجاة والفلاح فى الدنيا والآخرة •
١٩ ـ على فترة من الرسل : بعد انقطاع الرسل فترة من الزمن ، وقيل الفترة هى الزمن بين الرسولين ، والأول أصح •

٢٠ ــ ملوكا : أحرار بعد أن كنتم مستعبدين فى مصر •

٢٣ ــ رجــلان : قيــل هما اثنان من النقباء ، وقيل بل هما موسى وهارون بدليل ما يأتى بعده فى الآية (٢٥) من قــول موسى (رب انى لا أملك الا نفسى وأخى) •

٢٦ ــ فلا تأس : فلا تحزن •

٢٩ ــ تبوء باثمى : تتحمل ذنب قتلى •

٣٠ ــ طوعت له نفسه : سمحت له نفسه الظالمة •

٣١ ــ غرابا يبحث فى الأرض : غرابا يحفر فى الأرض •

ــ يوارى سوءة أخيه : يدفن جثة أخيه •

٣٢ ــ كتبنا على بنى اسرائيل : قيل لأنهم أصحاب أول شريعة كاملة ذكر فيها القصاص • وقيل ان الأخوين كانا من بنى اسرائيل ولم يكونا ابنين مباشرين لآدم عليه الســلام ، والأرجح أن الأول أصح •

٣٥ ــ الوسيلة : التقرب الى الله بالتقوى والجهاد والعمل الصالح•

٣٨ ــ نكالا : عقوبة من الله ، وعبرة وردعا لغيرهما •

٤٢ ــ السحت : المال الحرام = كالربا والسرقة والرشوة •

٤٤ ــ الربانيون : العلماء الذين أخلصوا أنفسهم ودينهم لله •

ــ استحفظوا : أمروا أن يحفظوا وطلب منهم ذلك •

٤٥ ــ كفارة له : يغفر له ذنوبه كما غفر هو لأخيه •

٤٦ ــ وقفينا على آثارهم : أرسلنا بعدهم •

ــ لما بين يديه : ما أمامه وهى التوراة •

٤٨ ــ ومهيمنا عليه : محتويا على كل ما نزل فى الكتب السابقة وشاهدا على صحتها •

ــ شرعة : شريعة للحكم بالعدل والحق •

ــ منهاجا : طريقا واضحا •

ــ فاستبقوا الخيرات : تسابقوا الى فعل كل خير •

٤٩ ــ يفتنوك : يضلوك ويصرفوك •

٥٠ ــ حكم الجاهلية : الظلم والبغى وتحكيم الأهواء •
٥١ ــ أولياء : حلفاء ونصراء موالين لهم •
٥٢ ــ دائرة : هزيمة •
ــ الفتح : النصر لرسوله وللمؤمنين •
٥٥ ــ راكعون : خاضعون •
٥٧ ــ هزوا ولعبا : سخرية وتلاعبا به •
٥٩ ــ تنقمون : تكرهون •
٦٠ ــ مثوبة : جزاء •
٦٣ ــ الأحبار : العلماء •
٦٤ ــ يد الله مغلولة : يقصدون البخل والفقر •
٦٦ ــ أقاموا التوراة والانجيل : عملوا بهما وحكموا بموجبهما •
٦٧ ــ والله يعصمك من الناس : يحفظك منهم ويقيك شرهم •
٦٩ ــ والصابئون : قيل هم عبدة الكواكب ، وقيل هم من لا دين لهم•
٧٧ ــ لا تغلوا فى دينكم : لا تتجاوزوا ولا تتعدوا الحق والصدق •
٧٩ ــ لا يتناهون : لا ينهى بعضهم بعضا •
٨٠ ــ لبئس ما قدمت لهم أنفسهم : بئس عملا ما زينت لهم أنفسهم من موالاة المشركين وهو مسجل عليهم •
٨٩ ــ اللغو فى أيمانكم : الأيمان التى لم يقصد بها عقد أو عهد •
٩٠ ــ الأنصاب : ما ينصب ليعبد من دون الله •
ــ الأزلام : ما كانوا يرون بها البخت والحظ والمستقبل بزعمهم•
٩٣ ــ اذا ما اتقوا : لا اثم على من أكل أو شرب شيئا مما حرمه الله من قبل أن يحرم •
ــ ثم اتقوا وآمنوا : ثم امتنعوا بعد تحريمه فورا •
ــ ثم اتقوا وأحسنوا : ثم امتنعوا عن المحرمات والمشتبهات تورعا ، وهذا من مقامات الاحسان •

سليمان رشاد محمد

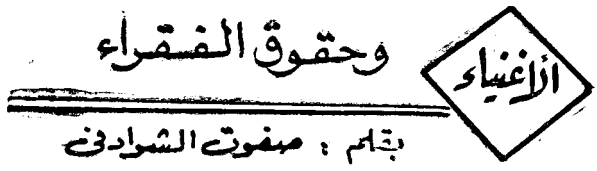

مـــاذا تفعل اذا رأيت شخصا ممزق الثياب حافى القدمين ، أو يتيما فقد حنان الأبوة أو رأيت أرملة تلاحقها نظرات من فى قلوبهم مرض وهى تسعى جاهدة لتجمع القوت لمن تعول من كسب حـــلال طيب ، أو رأيت جائعا قد عضه الجوع ورده الحرمان ..

ان هذه النماذج من البشر تعيش بيننا وفى مجتمعنا المسلم دون أن تجد فى الكثير الغالب من يحس بها أو يتألم لألمها وهذا ليس من الاسلام فى شىء ...

ان التواد والتراحم خلق فاضل يأمر به الاسلام أتباعه . عرف ذلك أقوام من المسلمين فمدوا يد الجود والسخاء والكرم يصافحون بها الفقراء والأرامل واليتامى وجهل ذلك أقوام من المسلمين فأحجموا عن العطاء ونسوا أنهم سيحشرون الى ربهم حفاة عراة بلا مال أو جاه وأنهم كذلك سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة ..

ولقد حث الاسلام على الانفاق ورغب فيه ترغيبا شديدا حتى أن الصدقة ــ ولو كانت شق تمرة ــ تقى صاحبها من النار ..

واذا أردت أن تعيش هذه الحقيقة فاليك هـــذا الحديث الذى سترى من خـــلاله كيف كان المسلمون الأوائل يتنافسون على البذل والعطاء ابتغاء وجه ربهم الأعلى :

عن جرير قال « كنا فى صدر النهار عند رســـول الله صلى الله عليه وسلم فجاءه قوم عراة !! مجتابى النمار ــ مشقوقى الملابس ــ عامتهم من مضر فتمعر وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ــ تغير

وحزن ــ لما رأى ما بهم من الفاقة ــ أى الفقر ــ فدخل ثم خرج فأمر بلالا فأذن وأقام فصلى ثم خطب فقال :

« يأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام ان الله كان عليكم رقيبا » .

« يأيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد .. » ثم قال :

ليتصدق رجل من ديناره من درهمه من ثوبه من صاع بره من صاع تمره حتى قال : ولو بشق تمرة ! فجاءه رجل من الأنصار بصرة ــ كيس نقود ــ كادت كفه تعجز عنها بل لقد عجزت ! ثم تتابع الناس حتى رأيت كومين من طعام وثياب حتى رأيت وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم يتهلل كأنه مذهبة ــ صفحة مطلية بالذهب ــ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من سن فى الاسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء . ومن سن فى الاسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من غير أن ينقص من أوزارهم شيء » (١) .

لقد فهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم لا يخلدون فباعوا دنياهم بأخراهم وتعلموا أن الحق سبحانه وتعالى يقبل الصدقة بيمينه ثم يربيها لصاحبها حتى تكون مثل الجبل !

وانك لتنظر اليهم فتراهم يمتثلون لأمر الله ورسوله عند سماعه .. وهذا شأن كل مسلم يصدق فيما عاهد ربه عليه ..

ينزل قوله تعالى « لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وما تنفقوا من شيء فان الله به عليم » (٢) فيسارع أبو طلحة الى رسول

---

(١) رواه مسلم ..
(٢) سورة التوبة آية (٩٢)

الله صلى الله عليه وسلم ويقول : يارسول الله ان الله يقول « لن تنالوا البـر حتى تنفقوا مما تحبون » وان أحب أموالى الى بيرحاء وانها صدقة لله أرجو بها برها وذخرها عند الله تعالى فضعها يارسول الله حيث أراك الله • فقال النبى صلى الله عليه وسلم : بخ بخ (١) ذاك مال رابح ذاك مال رابح • وقد سمعت وأنا أرى أن تجعلها فى الأقربين • فقال أبو طلحة : أفعل يارسول الله • فقسمها فى أقاربه وبنى عمه • (٢)

وينزل قوله تعالى « خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم ان صلاتك سكن لهم والله سميع عليم » (٣) وأى مسلم يقعد عن طلب ذلك المقام الرفيع ! فالصدقة تطهر النفس من الشح والبخل وتطهر المال من الخبث وتستوجب الصلاة على صاحبها من رسول الله !! انه تكريم لو فهمه الأغنياء لما أمسكوا من مالهم الا حد الكفاف !

ان الفقراء من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ــ لما نزلت آية الصدقة ــ سلكوا مسلكا يبدو فى ظاهره غريبا ولكنه منهم ادراك لفضل الصدقة وتسابق الى الجنة ! يقول أبو مسعود الأنصارى رضى الله عنه « لما نزلت آية الصدقة كنا نحامل » أى يعمل أحدهم حمالا بالأجرة حتى يجد ما يتصدق به !!

لله ما أجمل هذا الايمان وما أبعد من تمسك به • ان الأغنياء فى مجتمعنا المسـلم ينسون أو يتناسون أن فى أموالهم حقا معلوما للسـائل والمحروم • أما فقراء المسلمين الأوائل فكانوا يبحثون عن وسيلة يتصدقون بها وليس لديهم مال ! والفرق بين هؤلاء وأولئك هو الفرق بين من أسلم وجهه لله وهو محسن ومن انتسب الى الاسلام وراثة وتقليدا ••

---

(١) كلمة استحسان
(٢) متفق عليه
(٣) التوبة (١٠٣)

لو أنك أتيت اليوم الى احد أصحاب الثراء الفاحش ممن لا هم لهم الا جمع المال وقلت له « ابتغ فيما آتاك الله الدار الآخـــرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله اليك » لهز رأسه ولسان حاله يقول « انما أوتيته على علم عندى » !!

ان الفقراء الذين أقعدهم المرض أو العاهة وصدهم الحياء عن السؤال بحاجة الى من يحنو عليهم ويمسح عنهم آلام البؤس وشقاء الحاجة •• وتفريج كـــربة مسلم أمر لا يعرف قدره الا من أضـــاء الايمان قلبه • وعندما يعرف الأغنياء ذلك فانهم سيحملون أموالهم على أكفهم يطرقون بها أبواب اليتامى سرا فى ظلام الليل ! والـــذى يريد لنفسه النجاة فعليه أن يتقى النار ولو بشق تمرة •• لقد دخلت امرأة ومعها ابنتان لها على أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها تطلب الصدقة فلم تجد عندها سوى تمرة واحـــدة فأعطتها اياها فقسمتها المرأة بين ابنتيها فكان لكل منهما شق تمرة !!

ان مجتمعنا اليوم بحاجة ماسة الى من يذكره بالله ويوثق صلته به ويعيد الى ذهنه اليقين بأن الموت يعقبه بعث وأن البعث يتلوه حساب وأن الحساب عاقبته جنة أبدا أو نار أبدا ••

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « انما الدنيا لأربعـــة نفر •• عبد رزقه الله مالا وعلما فهو يتقى فيه ربه ويصل فيه رحمه ويعلم لله فيه حقا فهذا بأفضل المنازل • وعبد رزقه الله علما ولم يرزقه مالا فهو صادق النية يقول : لو أن لى مالا لعملت بعمل فلان فهـــو نيته فأجرهما سواء • وعبد رزقه مالا ولم يرزقه علما فهو يخبط فى ماله بغير علم لا يتقى فيه ربه ولا يصل فيه رحمه ولا يعلم لله فيه حقا فهذا بأخبث المنازل • وعبد لم يرزقه الله مالا ولا علما فهو يقول لو أن لى مالا لعملت فيه بعمل فلان فهو نيته فوزرهما سواء » (١) •

والله يقول الحق وهو يهدى السبيل ••

صـــفوت الشوادفى

---

(١) رواه الترمذى وقال : حديث حسن صحيح .

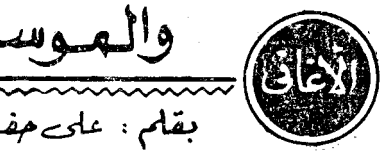

تضاربت آراء الناس عن الموسيقى والأغانى بين محلل لها ومحرم • وفرق بعضهم بين الأغنية الوطنية والعاطفية ، فأباحوا الأولى وحرموا الثانية • وكاتب هذه السطور على يقين أن كلمته هذه لا تقدم ولا تؤخر مع أناس استشربوا الأغانى والموسيقى وأدخلوها فى كل شىء حتى البرامج الدينية قدموا لها بالموسيقى وختموها بها كذلك • وقد أدخل بعضهم الأغانى فى عملهم اليومى بحيث لا يمر يوم ولا ساعة من غير سماع لها ويقولون ان الموسيقى غذاء الروح ومن أكبر وسائل الترفيه • وقد قال أحد المعلمين لتلامذته: اذا ارتقى القرد أصبح انسانا ، واذا ارتقى الانسان أصبح فنانا •

ولو أمعنت النظر لوجدت أن الذين يحبون الأغانى والموسيقى أكثرهم لا يقيمون لله الوقار ولا لدينه ، وقد جعلوا ما لله آخر ما يهتمون به • وفى الحديث « الشعر قرآن الشيطان » • نعم •• لاترى رجلا يجتمع عنده حب القرآن وحب الأغانى والموسيقى •• حتى لو سمع قرآنا انما يسمعه ممن يغنيه على حسب أنغام الموسيقى • وقد استمعت ذات يوم الى ندوة اذاعية دارت مناقشتها مع قارئين من قراء القرآن فقالا انهما قد تعلما هذه القراءة على المقامات الموسيقية•

ومع ذلك فان مسألة الحلال والحرام غير خاضعة لآراء الناس ومقاييسهم ، وانما مرد هذا الأمر لله وحده سبحانه ، وبعث بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما على الناس الا الرضا بحكم الله ورسوله • قال تعالى « وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم » وفى الحديث « لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به » •

واليك أيها القارىء الكريم بعض النصوص الفاصلة فى هـــذه القضية : روى البخارى فى صحيحه حديث أبى مالك الأشعرى رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « سيكون من أمتى قوم يستحلون الحر والحرير والخمر والمعازف » وفى جمعه صـــلى الله عليه وسلم بين هذه الأربع يعطيك مدى جرم هذه الجريمة • والحر بكسر الحاء هى فروج النساء يعنى الزنى والعيـــاذ بالله • وتعجب من الشيطان عندما يزين هذه الأربع ، فأماكن الغناء تجمع بين الموسيقى والخمر والتفاخر بالملابس ، وكل ذلك اعداد للفاحشة • ويكفى قوله صلى الله عليه وسلم « يستحلون » يعنى هى حرام وهم يحولونها الى حلال ويقيمون عليها • وبنفس الأسلوب يجمع النبى صلى الله عليه وسلم بين خصال كثيرة ومن بينها الأغانى • فقد روى الترمذى عن على رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «اذا فعلت أمتى خمس عشرة خصلة حل بها البلاء •• » وذكر هذه الخصال وضمنها « ••• واتخذت القينات والمعـــازف •• » والقينـــات هن المغنيات ، والمعازف آلات الطرب •

وعن ابن عباس رضى الله عنهما فيما يرويه الديلمى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « أمرت بهدم الطبل والمزمار » وعند ابن مردويه وابن أبى الدنيا عن أبى أمامة رضى الله عنه عن النبى صـــلى الله عليه وسلم « ما رفع أحد صوته بغناء الا بعث الله اليه شيطانين يجلسان على منكبيه يضربان بأعقابهما على صدره حتى يمسك » •

وروى ابن أبى الدنيا فى كتاب ذم الملاهى من حديث ابن مسعود رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « الغناء ينبت النفاق فى القلب كما ينبت المـــاء البقل » وروى الامام أحمد أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « ان الله بعثنى رحمة للعالمين ، وأمرنى أن أمحق الطبل والمزامير والمعازف والخمور والأوثان التى تعبد من دون الله فى الجاهلية » •• والأحاديث فى ذلك كثيرة لا يتسع المقام لذكرها •

وأما ما جاء عن الصحابة والتابعين رضى الله عنهم فهو كثير • منه ما جاء فى قول الله تعالى « ومن الناس من يشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزوا » قال ابن العباس ومجاهد وعكرمة والنخعى وسعيد بن جبير وقتادة : هو الغناء • وفى رواية أخرى لابن عباس : هو الرجل يشترى الجارية تغنيه ليل نهار •

وقد سأل رجل ابن عباس رضى الله عنهما عن الغناء : أحلال هو أم حرام ؟ فقال ابن عباس : لا أقول حرام الا ما فى كتاب الله • فقال الرجل : حلال ؟ فقال : ولا أقول ذلك • ثم قال له : أرأيت الحق والباطل اذا جاءا يوم القيامة فأين يكون الغناء ؟ فقال الرجل : يكون مع الباطل • فقال ابن عباس : اذهب فقد أفتيت نفسك •

ومن كلام الفقهاء رضى الله عنهم : قال الشافعى : خلفت ببغداد شيئا أحدثته الزنادقة يسمونه التعبير يعنى الغناء يصدون به الناس عن القرآن • وقال فى كتاب أدب القضاء : ان الغناء لهو ومكروه يشبه الباطل والمحال ، ومن استكثر منه فهو سفيه ترد شهادته •

وقال عبد الله بن أحمد : سألت أبى عن الغناء فقال : الغناء ينبت النفاق فى القلب ، لا يعجبنى • ثم ذكر قول الامام مالك : انما يفعله عندنا الفساق •

وصرح أصحاب أبى حنيفة بتحريم سماع الملاهى كلها كالمزمار والدف •• وصرحوا بأنه معصية يوجب الفسق وترد به الشهادة •

هذا ولا يتسع المقام لذكر أكثر من ذلك • ومن أراد التوسع فعليه قراءة كتاب تلبيس ابليس لابن الجوزى ، وكتاب اغاثة اللهفان لابن القيم ، وكتاب الاعلام بأن العزف والغناء حرام للعالم المجتهد الشيخ أبى بكر الجزائرى •

وقد تمسك المحلون للغناء بأحاديث أقواها سندا وأبينها حديث عائشة رضى الله عنها الذى رواه البخارى ومسلم قالت « دخل على

أبو بكر وعندى جاريتان من جوارى الأنصار تضربان بالدف وتغنيان بما تقاولت الأنصار يـــوم بعاث • قالت : وليستا بمغنيتين • فقـــال أبو بكر : أبمزمور الشيطان فى بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ وذلك فى يوم عيد ــ فقال النبى صلى الله عليه وسلم : يا أبا بكر دعهما فان لكل قوم عيدا وهذا عيدنا » وللحديث ألفاظ أخرى لا تخـــرج عن هـــذا المعنى •

ونحن نناقش المسألة من واقع الحديث : الجاريتان بنتـــان صغيرتان تضربان بالدف • والدف هو الغربال يشد عليه جلد وليس فيه جلاجل • تغنيان بغناء بعاث وهى موقعة حربية وقعت بين الأوس والخزرج قبل الهجرة النبوية وقد قيلت فيها أشعار حماسية • فكيف تتخذ هذه الواقعة دليلا على جواز مثل هذه الفجور الذى نسميه نحن غناء وما هو الا دعوة صريحة الى الفسق وكبائر المعاصى ؟ أفلا يكفى القوم تسمية أبى بكر له بمزمور الشيطان ؟ ولم يكن أبو بكر يسميه من قبل نفســـه وانما لمـــا سمعه من النبى صلى الله عليه وســـلم • وأجازه النبى صلوات الله وسلامه عليه على أنه لعب من لعب الصغار لا أنه تشريع للأمة •• ولكن يأبى دعاة الفسق وأعوان الشـــيطان الا أن يتخذوا من هذا الحديث وأمثاله حجة لرأيهم •

ثم أين هذا من الأغانى التى تذيعها الاذاعات اليوم بكلام مثير للشهوات محرك للغرائز الجنسية •• تصف فيهـــا المغنية أو المغنى العشق والهجر والمرأة وجمالها وشعرها الى غير ذلك مما نستحى أن نذكره ولا نرضى أن نلطخ به صفحات هذه المجلة •• سبحانك هذا بهتان عظيم •

يا قوم •• عودة الى كتاب الله تعالى ففيه الغنى كل الغنى •• يشبع النفس والوجدان ويملأ الروح ســـكينة وايمانا ويهـــدى الى الصراط المستقيم •

أسأل الله للجميع الهدى والتوفيق • آمين •

على حفنى ابراهيم

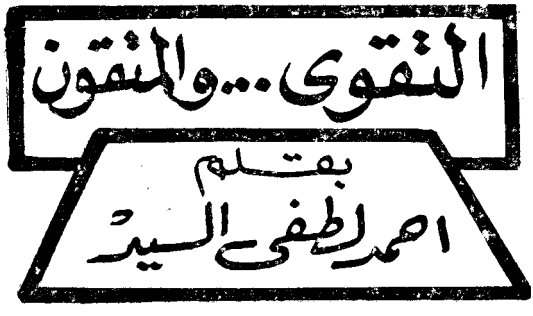

كلمة التقوى بمعناها اللغوى مأخوذ من الوقاية ، بمعنى حفظ الشىء مما يؤذيه ويضره .. أما معناها الشرعى فهو حفظ النفس عما يوقعها فى الاثم ، وذلك بترك ما نهى الله عنه وفعل ما أمر به .

فالجانب الايجابى فى معنى التقوى هو امتثال ما يأمر الله به والاقبال على ما يدعو اليه ، وعمل ما يرضيه ويعود بالثواب على فاعله . والجانب السلبى فيه هو اجتناب ما نهى الله عنه والورع الذى يحجز المؤمن عن المحارم والشبهات ... أما الباعث الاصيل على التقوى بهذين الجانبين فهو الشعور بالخوف من الله نتيجة للايمان بأنه جل شأنه القوى القاهر الذى لايخفى عليه شىء فى الارض ولا فى السماء ، ولايظلم مثقال ذرة . فان المؤمن اذا تذكر هذه المعانى واستحضرها وامتلأت بها نفسه تصرف على هداها بما يحقق فيه معنى التقوى ، ويحقق له الخير والحياة الطيبة فى الدنيا والآخرة . وصدق الله العظيم « انما يتقبل الله من المتقين » .

والمتقون من الناس هم الذين يصدرون فى كل مايأتون ويذرون عن هذا الاحساس وعلى هذا الأساس . .

وقد وصف الله المتقين بأوصاف تجتمع فيها كل أصول الدين وذلك حيث يقول الحق تبارك وتعالى عنهم « الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون . والذين يؤمنون بما أنزل

اليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون » .... ثم أشار سبحانه الى أنهم من أجل هذه الصفات حقيقون بالفوز والفلاح « أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون » .. وصدق الله العظيم « وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا » .

كما جعل الله التقوى خير مايتزود به الانسان من هذه الحياة قال عز من قائل « وتزودوا فان خير الزاد التقوى واتقون ياأولى الألباب » .

كما جعل التقوى الباعث على تعظيم شعائر الله . قال تعالى « ذلك ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب » ... وجعلها الغاية التى نرجى من الصيام حيث يقول جل شأنه « يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون » .. ثم هى مع هذا المقياس الذى يتفاضل به الناس أمام الله « يأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم » .. وصـــدق الرسول الكريم « ليس لعربى على عجمى ولا لأبيض على أسود ولا لأسود على أبيض فضل الا بالتقوى»

أما آثار التقوى وثمارها فى حياة الفرد والمجتمع فيمكن أن نشير اليها بقول الله « ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب » « ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا » .

ان التقوى تجمع كل خير وبر .. وتدفع كل شر ومكروه ... ولهذا أمر الله بالتعاون عليها « وتعاونوا على البر والتقوى ولاتعاونوا على الاثم والعدوان » . وقد كان من دعاء النبى صلى الله عليه وسلم « اللهم انى أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى » .

واذا كانت التقوى بهذه المنزلة وهذه المثابة ، فيجب أن نشـــير الى أنها وازع المؤمن الحاكم عليه ، الموجه له ، المتنبه لكل ما يقبل عليه أو يعرض عنه . فهى كالحاسة المرهفة يعرف بها ما ينفعه ، وما

يضره • ويكفى فى بيان عظم قدرها وأجرها أن نذكر قول الله فيها « واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين » « ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون » • فهى الوسيلة لصلاح الأعمال وحسن الحال والمآل • وهى زينة المؤمن فى حياته ، وزاده لما بعد مماته • ثم هى نهاية ما تصل اليه القلوب من النضج والطهر بعد امتحانها بضروب المحن والتكاليف وتمحيصها وتخليصها من كل ما يشوبها ويعيبها • قال الحق تبارك وتعالى « أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى »•

فالتقوى تخلية للنفس من الرذائل والسيئات • • وتحلية لها بالفضائل والحسنات • ثم هى بعد ذلك قمة القمم بين القيم التى يأمر بها الدين ويدعو اليها الاسلام •• وصدق الله العظيم « والعاقبة للتقوى » •

أحمد لطفى السيد

انا لله وانا اليه راجعون

توفى الى رحمة الله تعالى يوم الاربعاء ٢٠ / ١١ / ١٤٠٢ هـ الموافق ٨ / ٩ / ١٩٨٢ م سماحة الشيخ عبد الله بن حميد رئيس مجلس القضاء الأعلى بالمملكة العربية السعودية والذى كان علما من أعلام الاسلام •

ونسأل الله الكريم أن يتغمده برحمته وأن يسكنه دار كرامته ، وأن يجمعنا به مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين •

وانا لله وانا اليه راجعون •

التوحيد